

-٨٧-

أما الاتجاه الآخر في النظر إلى الموضوع فهو أشد وضوحاً من الاتجاه السابق ، وأعنف حدة في الفصل بين الدين والقومية ، وفي الهجوم على من يربطون بينهما بأقوى الأسباب أو بأوهأها ، بل انهم ليرون على العكس من ذلك تماماً أن الدين كان أحد العوامل المعوقة في بعض الأحيان، وذلك حين اختلطت الناحية القومية بالدينية، أو بعبارة أخرى حين احتضنت الناحية الدينية الفكرة القومية ، فيحتنذ دب إليها الضعف والهزال ، وكادت الشخصية العربية تضيع تحت وصاية الناحية الدينية . وهم يستشهدون على ذلك بأحداث التاريخ العربي الطويل ويرون أنها كلها تؤكد وتؤيد وجهة نظرهم في الفصل بين الدين والقومية . فمثلاً في فجر التاريخ العربي حين خرج العرب من جزيرتهم في انتشار المد القومي أيام دولتي الفرس والروم انضاف عرب الحيرة المسيحيون مع اخوانهم المسلمين ضد الفرس الوثنيين على الرغم من اختلاف الدين ، بل أكثر من ذلك انضم عرب الفساسنة إلى اخوانهم ضد الروم الذين يتحنون معهم في الدين <sup>(١)</sup> .

بل إن حياة الدولتين الأموية والعباسية من أهم ما يستشهد بها لهذا الاتجاه فالدولة الأموية كان الفرد العربي فيها يدين بالولاء للجماعة العربية مباشرة ، وكان العرب في عهدها في قوة ومنعة ، أما في عهد العباسيين فقد أصبح هناك وسيط بين ولاء الفرد العربي لأمتة وهو الناحية الدينية أو الخلافة ، وبذلك انحدر الوعي القومي واستمر في الانحدار حتى وصل إلى أقصى انحداره بفقدان العرب حريتهم واستقلالهم ، حيث جمدوا وتصلبوا نتيجة نوم الروح القومية في أحضان الفكرة الدينية منذ عهد الخليفة المتوكل إلى العصر الحديث <sup>(٢)</sup> .

بل إن الشاهد القريب على ذلك هو الدولة التركية التي أصيب العرب في عهدها بأقسى المهانة والتخلف ، وأصبح المجتمع العربي منطويا على نفسه ، بل أصبح طعمة للطامعين والمستعمرين نتيجة ولاء الفرد العربي للفكرة الدينية ، حيث ارتبطت بالدولة العثمانية التركية ، فقد استغل الدين لضمان الولاء للدولة ، بينما العرب في ظلها يهونون إلى الحضيض ، ويعيشون في التخلف والجهل .

(١) أصول الوعي القومي العربي ص ٢٤ ، ٢٥ .

(٢) راجع السابق ص ٢٦ وما بعدها .